مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ رقم ISSN 2661-7307
المجلد 03 ـ العدد 02 ـ السنة 2021 ص 05 - 23

قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث
موقع عين الناقة بالجلفة أنموذجا

A reading in the rock art of Neolithic man
Ain Al-Naqah site in Djelfa as a model

كيدارعبد الوهاب[1]* بقة بالخير[2]

جامعة عمار ثليجي الاغواط الجزائر *a.kidar@lagh-univ.dz*

جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر *faridb12@hotmail.fr*

تاريخ الإرسال: 2021/05/16 تاريخ القبول: 2021/06/27 تاريخ: النشر: 2021/06/30

الملخص: يتناول الموضوع الموروث الثقافي لأحد أهم مواقع الفن الصخري للأطلس الصحراوي، وذلك من خلال التعريف بمحطات الفن الصخري لموقع عين الناقة الواقع بمنطقة الجلفة، إذ تم التطرق لمنطقة الجلفة وأهميتها ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي، ودعمها بالخرائط، والوقوف على تاريخ البحث الأثري للفن الصخري بالجلفة، ومحاولة إعطاء أهم تصنيفات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، ثم تحديد الاطار المكاني لموقع عين الناقة، وتاريخ البحث الأثري بالموقع، ثم جرد لمحطات النقوش الصخرية بالموقع ودعم العمل الصور والرسومات، ثم محاولة إعطاء تحليل للنقوش الصخرية لموقع عين الناقة.

الكلمات المفتاحية: الفن الصخري، النقوش الصخرية، الأطلس الصحراوي، الجلفة، عين الناقة.

English Abstract: The topic of the cultural heritage of one of the most important sites of rock art of the Atlas Desert, through the definition of rock art stations for the site of Ain Al-Naqa, located in the area of Djelfa, the area was discussed and importance in the series of the Atlas Desert, and supported by maps, and to find out the history of archaeological research rock art in Djelfa, The most important classification of the rock inscriptions of the desert Atlas, then the spatial framework of Ain Al-Naqa site, the history of archaeological research on the site, the inventory of the rockworks on the site and the support of the work of the pictures and drawings, and the attempt to give an analysis of the rock inscriptions of Ain al-Naqa.

Keywords English: Rock Art, Rock Inscriptions, Desert Atlas, Djelfa, Ain Al Naqah.

مقدمة:

يحتل الفن الصخري صدارة الشواهد الحضارية التي تركها إنسان ما قبل التاريخ، فهو الطريقة التي عبر بها عن نفسه والتي تعكس انشغالاته ومعيشته وحتى طموحه، بحيث أنه ينقل لنا صورة حية عن الحياة اليومية لتلك الفترة بما تحمله من طقوس عقائدية ودينية وأعمال اجتماعية وأخرى ثقافية، وقد استعملت لإنجازه تقنيات مختلفة وأساليب متعددة هذه الأخيرة التي تعبر عن مدى اهتمام الفنان بإنجازه، ودليل على مدى تطور أو انحطاط الفن الصخري.

ويزخر الأطلس الصحراوي بالعديد من مواقع ما قبل التاريخ، إذ يحتوي على المئات من محطات الفن الصخري التي تعتبر كشواهد مادية تعبر عن الحياة اليومية للإنسان الحفري في وسطه البيئي الغابر وعن معتقداته الدينية إضافة إلى ذلك فإن هذه الظواهر الثقافية تمثل أرقى درجات التطور الذهني لهذا الإنسان، وتعتبر منطقة الجلفة إحدى أهم مناطق الأطلس الصحراوي التي تحتوي على سجل حضاري هائل يتمثل في المئات من محطات الفن الصخري، ولعل أهم المواقع الأثرية الموجودة بها، والتي ارتبط اسمها بالفن الصخري وإنسان العصر الحجري الحديث هو موقع عين الناقة.

1- التعريف بمنطقة الجلفة وبدايات البحث الأثري فيها:

تقع منطقة الجلفة في قلب الأطلس الصحراوي الجزائري (جبال أولاد نايل)، يطلق عليها عادة اسم بوابة الصحراء نظرا لطابعها الجيومورفولوجي التلي والسهبي في الشمال والصحراوي في الجنوب، يبعد مقر الولاية بحوالي300 كم جنوب الجزائر العاصمة، تزخر المنطقة بعدد هائل من المواقع الأثرية، على اختلاف تأريخاتها، تشهد على تعمير بشري مستمر في هذا المركب الإيكولوجي منذ أولى هجرات الإنسان القديم إلى شمال إفريقيا، مع بداية العصر الحجري القديم[1].

تزخر منطقة الجلفة بتراث أثري كبير، يتمثل بالدرجة الأولى في الكم الهائل من مواقع الفن الصخري، (انظر الخريطة رقم 01) إذ تشير الاحصائيات أن المنطقة تتوفر على: 165 محطة منتشرة عبر 54 موقع احتوت على أزيد من 1162 نقشا، وأكثر من 89 رسما، وأهم هذه المواقع: عين الناقة، زكار، صفية بورنان، حجرة سيدي بوبكر...[2].

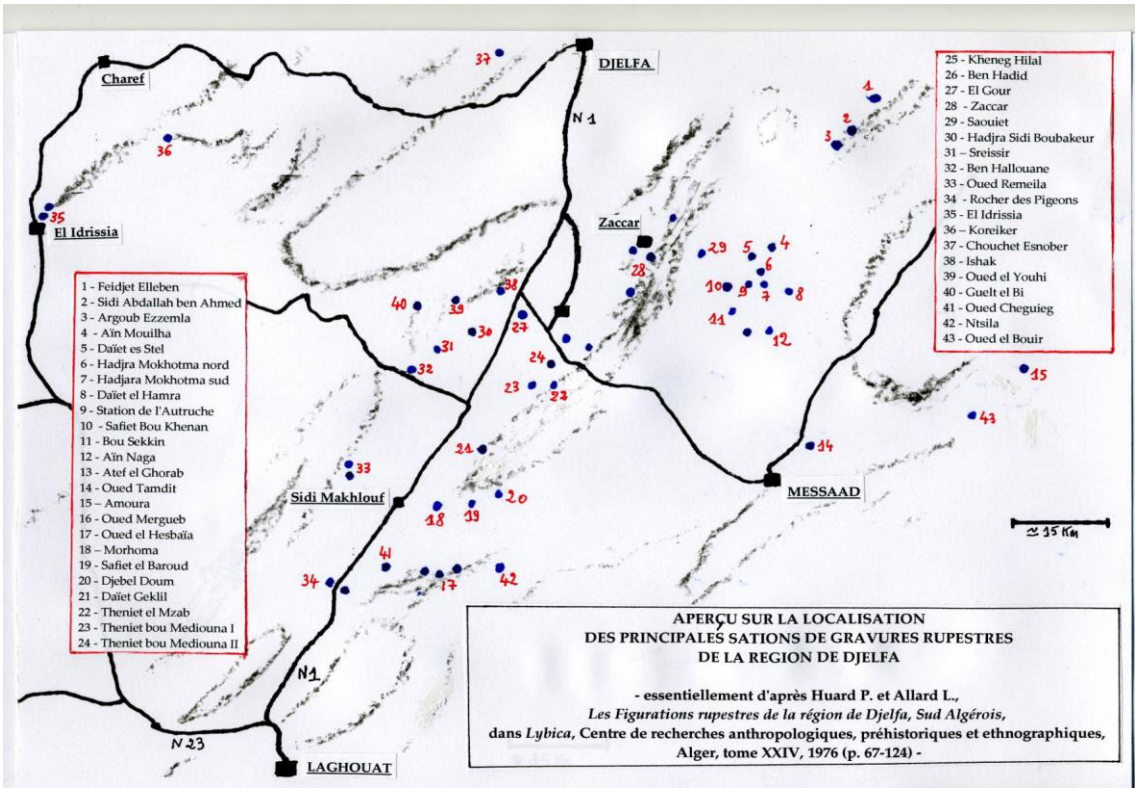

ريطة رقم (1) **أهم المواقع الأثرية بالجلفة**

وقد انتشرت هذه المواقع عبر مختلف أرجاء الولاية خاصة منها في الجهة الجنوبية، كما تزخر المنطقة بالكثير من الملاجئ الصخرية، والتي هي عبارة عن تكتلات صخرية ضخمة تكون بها فجوات طبيعية وتكثر في المناطق الجبلية، وقد استفاد منها إنسان ما قبل التاريخ فلجأ إليها لحماية نفسه من العدو ومن قسوة البيئة الطبيعية، وقد وجدت الكثير من النقوش الصخرية على واجهات هاته الملاجئ.

وقد عثر في هذه المواقع على المئات من بقايا حجر الصوان أو الصناعات الحجرية مثل رؤوس السهام والشظايا، وكذا بقايا بيض النعام والقطع الفخارية التي عثر عليها المختصون والتي ترجع لفترة ما قبل التاريخ، ومن خلال هذه اللقى تم التأريخ للمنطقة بحوالي 5550+200 ق.م[3].

ارتبطت بداية أبحاث ما قبل التاريخ وفجر التاريخ للأطلس الصحراوي بالمد الاستعماري، ولم تكن وليدة منهجية علمية واستراتيجية مقصودة، فانطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر سجلت اكتشافات معتبرة أهمها كانت على يد العسكريين والقليل منها قام بها الهواة ، وانصب جل اهتمام المكتشفين من الهواة والعسكر على الفن الصخري ومعالم فجر التاريخ، وهذا لما تكتسيه هذه المعالم من خصوصيات، فبدأت هذه الحملات العسكرية تأخذ طابعا استكشافيا بالموازاة مع الطابع العسكري والاستعماري، وهذا ما تبينه الكثر من المنشورات والمؤلفات[4].

ونجد من أوائل المهتمين النقيب هارتماير (Hartmayer) الذي اهتم بالمخلفات الأثرية للمنطقة خاصة ما تعلق منها بفجر التاريخ، حيث أبدى اهتماما بالمعالم الجنائزية لمنطقة الجلفة، وقام بدراسة موقع أثري بضواحي مسعد، والذي احتوى على بقايا حيوانية وصناعة حجرية، كرؤوس السهام[5].

كما قام الطبيب روبو (Raboud) بوصف بعض المعالم المتعلقة بفجر التاريخ سنة 1856م، حيث درس حصن دمد أو ما يعرف بكاستيلوم ديميدي (Castellum Dimmidi) بمسعد، وأشار إلى بعض الكتابات اللاتينية[6]، وأشار الباحث آرنود (Arnoud) سنة 1862م خلال جولته بالمنطقة إلى بعض المواقع مثل الحجرة المختومة، والذي أشار إليه في مقال بعنوان (اكتشاف جبل بوكحيل) في المجلة الافريقية رقم 34 لسنة 1862[7]. كما اشار النقيب بيرنارد (Bernard) إلى بعض المعالم الجنائزية بالمنطقة، وإلى العديد من المواقع الأثرية والتي احتوت على صناعات حجرية[8].

وفي أوائل القرن الأول من القرن الماضي، وبالضبط سنة 1907م تم اكتشاف موقع زكار، وبالتحديد محطة (دير الديقاوين) من طرف ماغني (Magny)[9]، كما قام غزال (Gsell) في أطلسه الأثري بجرد مفصل للمواقع الأثرية، وذلك ضمن الأوراق 35، 45، 46[10]. وقد ارتكزت الأبحاث خلال هذه الفترة على جرد ووصف محطات الفن الصخري؛ نجد من هؤلاء فلامون (Flamand) الذي يعتبر رائد الدراسات المنهجية وأول الباحثين الذي أولوا اهتماما بالغا لهذا المجال، فيعتبر من أهم المكتشفين، والذي يعود إليه الفضل في تنظيم الأسس المنهجية لإقامة كرونولوجيا في الفن الصخري

المنقوش[11]، وقد قام بدراسة مفصلة للفن الصخري لمحطتي ضاية السطل وقصر زكار مع حوصلة لتاريخ أبحاث منطقة الجلفة عن الفن الصخري، وذكر بيري بدوره (Perret) ثلاث محطات للفن الصخري في خريطته للنقوش والرسومات الصخرية في شمال إفريقيا وهي: ضاية السطل وزنينة وقصر زكار وتطرق فوفريي (Vaufrey) في كتابه عن الفن الصخري في شمال إفريقيا إلى المحطات التي تحتويها المنطقة ومضامينها[12]، ومما تجدر الإشارة إليه أن فوفري أبدى اهتمامه بالنسبة للصناعات الحجرية خاصة القفصية والنيوليتية، وحاول ربط بعض الأدوات بالفن الصخري المنقوش، حيث يعتبر مرجعه المنشور سنة 1939م ذو أهمية بالغة من حيث المنهجية والمحتوى[13].

أما بيلان (Bellin) الذي تناول الفن الصخري الموجود بمرتفعات أولاد نايل؛ فقد جرد ورفع ووصف النقوش الصخرية التي اكتشف بعضها والبعض الآخر بيري سنة 1937 م، على غرار محطتي صافية بورنان و ضاية السطل[14]. وفي منتصف القرن الماضي أشار الأب لوتيلو (Lethielleux)، إلى النقوش الصخرية الموجودة في منطقة الإدريسية (الزنينة)[15]، واكتشف جواميس موقع عين الناقة سنة 1965م[16]، وفي سنة 1967م قام غريبنار (Grebenart) بحفرية في منطقة عين الناقة أين قدما تأريخا للمنطقة ونشر نتائج حفرياته في مجلة ليبيكا، لتتوالى بعدها الاكتشافات والدراسات بالمنطقة من طرف عديد الباحثين شوسكو (Shosko) ولوفيفر (Lefebvre) والآنسة دامور (Damour) والتي قامت باكتشاف أولى الرسومات الصخرية بزكار، كما قام الاب دوفيلاري (Devillaret) باكتشافات اخرى بالمنطقة[17]. أما الباحثان هوارت (Huard) وألار (Allard) فقد قاما بجرد ودراسة كل هذه التمثيلات الموجودة في 43 محطة أثرية[18].

واستأنفت الأبحاث من طرف هـ لوت (Lhote) الذي أجرى زيارات عديدة لمنطقة الأطلس الصحراوي بغية تكملة الأبحاث السابقة، وقام بنشر أبحاثه في مذكرته المشهورة تحت عنوان "النقوش الصخرية للجنوب الوهراني" سنة 1970م[19]، وفي بداية الثمانينات قام بأحد أهم وأكبر الأبحاث الأثرية بالمنطقة، أين قام بدراسة ميدانية لمحطات الفن الصخري المكتشفة بمنطقة الجلفة (حوالي 135 محطة)، ونشرت سنة

1984 تحت عنوان: (النقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي لجبال أولاد نايل وضواحي الجلفة)[20].

وأنجزت أعمال أخرى بالغة الأهمية من حيث المنهجية المتبعة أمثال الدكتورة مليكة حشيد (Hachid) التي أعادت النظر في المنهجية المعمول بها في دراسة الفن الصخري، إذ قامت سنة 1982م بإعداد دراسة وصفية تحليلية لمحطات الفن الصخري بالمنطقة في إطار تحضيرها رسالة الدكتوراه درجة ثالثة[21]، كما قامت سنة 1992م بنشر جزأين لكتاب تحت عنوان "حجرات مكتوبة"، وهو عبارة عن جرد وافر لبعض النقوش بمنطقة الأطلس الصحراوي، كما بينت من خلال هذا المرجع أهم التقسيمات الكرونولوجية التي سبق أن عرفها لوت[22].

2- التصنيف الكرونولوجي للنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي:

يرجع تأريخ الفن الصخري الصحراوي إلى العصر الحجري الحديث، والذي أنجز في الهواء الطلق على صخور حجرية رملية، هذه الصخور التي تعود إلى الفترة الكمبرو اوردفيري الحاملة لشبكة من الكسور والشقوق العمودية ورأسية، وهي صخور هشة بسبب مفسدات المناخ (خلافا لما هو شائع فإن الجفاف لا يعتبر واقي المساحات الصخرية)، وبسبب التدخل المباشر للعامل البشري[23].

ويصنف الفن الصخري حسب ظهور واختفاء حيوانات معينة، مع أن حيوانات مثل الجاموس العتيق قد استمر وجوده في مراحل لاحقة، وهناك تصنيف آخر حسب نوع الفن كونه طبيعيا أو رمزيا (موزيليني وموري)...، كما يصنف الفن الصخري حسب نشاط الإنسان إلى فن الصيادين وفن الرعاة، ويمكن أن يقسم تبعا للمجموعة البشرية، مثل ذلك الذي اتبعه أندرو سميث؛ حيث قسم الرسوم إلى أسلوب الجنس الأبيض وأسلوب الجنس الأسود. وهناك نوعين من الفن الصخري هما الرسوم والنقوش، وكل نوع يتكون من مراحل فنية هي: (الجاموس العتيق، البقريات، الحصان والعربة، الجمل)[24]. أما التصنيف الأكثر تداولا فهو الذي وضعه هنري لوت:

أ- مرحلة الجاموس العتيق: وتشمل جميع النقوش التي تمثل الحيوانات المتوحشة ذات المقاسات الكبيرة، بها زنجرة قاتمة، وأهم حيوانات هذه المرحلة الجاموس العتيق الذي يعتبر السمة الرئيسية لهذه المرحلة، بالإضافة إلى الفيل، وحيد القرن، الكركدن، الكبش، السنوريات، الغزلان، إضافة إلى تمثيل الإنسان إلى جانب الحيوانات، أما تقنية الخط فهي ممثلة بخط مصقول على شكل U أو V والذي كون أحيانا منقر.

ب- مرحلة الأحجام المتوسطة: أو ما يعرف بأسلوب الحصباية[25]، والتي تم إضافتها من طرف لوت سنة 1984، وعرفت المرحلة تطورا في المواضيع الممثلة، إذ يغلب فيها نقوش الأبقار والثور والأسود، مع تراجع تمثيل الكباش، كما عرفت بقاء بعض المميزات مثل الزنجرة القاتمة.

ج- مرحلة الأحجام الصغيرة: وعرف كذلك بأسلوب تازينة، وقد تم إضافته من طرف لوت وأطلق عليه مدرسة تازينة، وتمثله نقوش ذات أبعاد صغيرة منجزة بأسلوب تخطيطي، ويتميز الاسلوب بتمديد النهايات للمواضع وتطويلها (القوائم، الذيل، القرون)، وتكون الزنجرة قاتمة مثل أسلوب الأبعاد الكبيرة، من الحيوانات التي تندرج ضمن الأسلوب الجاموس والفيلة. الغزلان، الظباء، كما يبرز كذلك التمثيل الانساني إلا أن نهاية الأطراف دائرية نوعا ما.

د- المرحلة الشبه طبيعية: نجد المرحلة في الأطلس الصحراوي فقط، وتتميز بتراجع القيم الفنية، الموضوع الأساسي للنقوش هم الأشخاص، وقد قسمها لوت إلى ثلاث مراحل: أشخاص ذوي الرؤوس السود، أشخاص بمنظور $\frac{3}{4}$، أشخاص ذوي وضعية مقرفصة.

هـ- مرحلة البقريات: هي ممثلة خاصة الأبقار ذات القرون الطويلة والقصيرة، بها زنجرة بنية، الخط في الغالب موتد.

و- مرحلة الخيول أو العربات: في المغرب والصحراء ظهوره كان أولا بواسطة العربات ثم خيالة (أو فرسان)، وهي علامات بداية زمن فجر التاريخ، ذات أسلوب تخطيطي، يتميز

بقلة التأكيد على التفاصيل، الخط فيها موتد، والزنجرة فاتحة في الغالب، وبالاضافة إلى الخيول نجد تمثيل النعام والظباء.

ز- مرحلة الليبية البربرية: ضمت تمثيل الخيليات والجمال بمقاسات صغيرة بالإضافة إلى رموز وكتابات ليبية.

ح- مرحلة العربية البربرية: تضمنت نقوش عربية بربرية، إضافة إلى الخيليات والجمال ذات حجم صغير[26].

3- التعريف بموقع عين الناقة:

يقع الموقع ببلدية المجبارة التابعة لدائرة عين الإبل على بعد 45 كلم جنوب شرق مدينة الجلفة، وبحوالي 18 كم عن المجبارة، وبـ 20 كم عن مسعد، اكتشف جدارية الفيل والجاموسين العتيقين النائب لوتيلو سنة 1965م، أما الباقي فقد اكتشفه الأب دوفيلاري[27]، تم تصنيف الموقع في 01 فيفري 1982م، ونجد في الموقع مجموعة نقوش تعود لفترة ما قبل التاريخ وبالضبط لفترة الجاموس العتيق. ويحتوي الموقع على ثلاث محطات للنقوش الصخرية، نجد في المحطة الأولى:

- واجهة صخرية شرق قرية عين الناقة (الواجهة الشرقية رقم 01) تحمل نقش لحيوان بقري وأربع نعامات وأرنب ووحيد القرن صغير الحجم.

- واجهة صخرية شرق قرية عين الناقة (الواجهة الشرقية رقم 02) تحمل نقوش لـ - من اليسار إلى اليمين-: نعامة، صياد، ثلاث كلاب، فيلان صغيران، ثلاث أشخاص برؤوس مستديرة، شخص رافع يده، نقوش ليبية مكونة من ثلاث رموز، خروف صغير الحجم، حمل يحمل قرصا على رأسه، جاموس صغير الحجم، ظبي صغير، حيوانان بقريان، نقوش ليبية مكونة من تسعة رموز.

- بعد اجتياز سلسلة الصخور الى نهايتها نجد جدارية ذات لون أسود موجهة نحو الشمال (الواجهة الشرقية رقم 03) عليها نقش لشخص أمامه كبش لم يبق منه سوى الرأس. (أنظر الصورة رقم 01).

صورة رقم (01): **الشخص والكبش**
2019/05/24
المصدر: الصورة من عمل المؤلف

والمحطة الثانية شرق القرية، وعلى بعد 100م من الواد ملجأ مكون من جدارين في شكل زاوية فنجد فيها: ملجأ مكون من جدارين في شكل زاوية، (الواجهة الشرقية رقم 04) على الجدارية اليمنى

صورة رقم (02): **العشيقين الخجولين**
2019/05/24
المصدر: الصورة من عمل المؤلف

نقوش لزوج مكون من رجل وامرأة يحتلان وسط الجدارية، يطلق عليهما اسم "العشيقين الخجولين" (أنظر الصورة رقم 02)، بالإضافة إلى آثار أقدام لحيوانات سنورية عددها ثلاثة، وإلى اليمين شخصين ونحو الأعلى شخص آخر قربه مستطيل بداخله أقطار. وعلى الجدارية اليسرى لنفس الملجأ نقوش لحمارين.

أما المحطة الثالثة والأخيرة فهي عبارة عن واجهة صخرية تقع غرب قرية عين الناقة (الواجهة الغربية) نقش عليه جاموسين عتيقين وعدة حيوانات أخرى كالأسد والحصان والنعامة والبقرة (أنظر الصورة رقم 03)، كما أن أرضية الموقع احتوت على بقايا لصناعة حجرية[28].

صورة رقم (03): **الجاموسين العتيقين**
2019/05/24
المصدر: الصورة من عمل المؤلف

وعليه يمكن القول أن الفن الصخري للموقع قد تنوعت نقوشه ما بين: النقوش الحيوانية: (الكبش،النعامة، الكلب، الفيل، الجاموس، الظبي، البقرة، الأرنب، وحيد القرن، الحمار، الأسد، الحصان)، النقوش الآدمية: (أشكال آدمية ذات رأس مستدير، أشكال آدمية واقعية)، الأسلحة: (فأس، قوس، ترس، سهام،)، رموز يعتقد أنها نقوش ليبية، وبعض الزوائد كالقرص الذي علو رأس الكبش.

4- تحليل لنقوش عين الناقة:

1.4- مشاهد الصيد والاستئناس:

تعددت دوافع الإنسان التي وجهته لمحاولة التعبير بالرسم والنقش، ويمكن تتبع هذه الدوافع من خلال نقوشه المبكرة، والتي كان محورها الرئيسي والأساسي الرسوم الحيوانية؛ حيث يمكن القول بأن رسمه للحيوانات بكثرة ناتج عن عدة عوامل رئيسية، يأتي في مقدمتها طبيعة حياة الانسان خلال هذه الفترة، والتي كانت تمثل الحيوانات الموجودة في بئته بأنواعها المختلفة عبئا نفسيا شديدا عليه، سواء لخوفه منها في حياته أو لرغبته في الاستفادة منها في حاجياته الغذائية، وعدم تمكنه من السيطرة عليها وإخضاعها لإرادته، وإدراكه المباشر من خلال تعامله معها إلى الفروق الكبيرة والهائلة بين قوتها وضعفه وشراستها وعنفها بالنسبة إليه، ومن ثم فقد لجأ إلى الفن ليعبر عن طريقه وبواسطته عما يجول في خبايا نفسه من رغبة في السيطرة على الحيوانات والانتفاع بها، حتى ولو كان من خلال رسم أو نقش يقوم به، قد يجعله يشعر بالقوة، مما يدفعه إلى الإقدام على صيده دون إحساس بالخوف.

وربما كان تصوير الحيوانات بشكل كبير راجع إلى رغبة الإنسان في معرفة خصالها ومواطن الضعف فيها حتى يسهل صيدها، وكذلك تحديد الأدوات التي يمكن استخدامها للإيقاع بها وصيدها، كما يكون الدافع من وراء رسمه للحيوانات هو تعريف الأجيال من الأبناء والحفدة بطبيعتها حتى يحذروا منها مثلما حذر هو منها، أو ليستفسدوا منها مثلما أفاد.

وقد دلت الآثار التي عثر عليها بمواقع العصر الحجري الحديث أن النيوليتين ظلوا يمارسون الصيد والقنص الى جانب الزراعة والرعي، وقد استمر الصيد الى غاية 5000 ق.م ، حيث بدأت أهميته بعد ذلك تتضاعف[29]. ولعل تنوع أشكال رؤوس السهام وكثرة أعدادها المتناثرة عبر الصحراء الشاسعة[30] ورؤوس المزاريق المختلفة الأحجام يعتبر دليلا هاما على تطور عملية الصيد، وحتى الخمسينات من القرن العشرين بقي سكان الواحات والبدو الرحل يجمعونها للصيد بها من جديد[31]. وربما وحده صيد النعام خاصة حفظته

لنا بعض الرسوم الصخرية النادرة في النيوليتي القفصي الصحراوي، فقد عرف صيد النعام بالصحراء منذ عصور ما قبل التاريخ، لكن تقنياته وممارسته تطورت خلال الفترة النيوليتية خاصة بعد تدجين كلاب الصيد (السلوقي) التي استخدمت في هذا الغرض، كما أستخدم التفخيخ مثل الحفر المغطاة بالأغصان أو إيقاعها في شرك، و في أحيان كثيرة مباغتتها في أعشاشها إذ ترمى بالسهام[32].

وقد صور الانسان مشاهدا عبرت عن ممارسته الصيد، إذ توجد نقوش للحيوانات التي كان يعمل على اصطيادها كالنعام (أنظر الصورة رقم 04)؛ ومن خلال إحصاء عدد الحيوانات التي كان يصطادها نجد أن مجموع النعامات المنقوشة في الموقع يصل إلى ستة نعامات، وقد يعبر هذا العدد عن مدى أهميته وأنه كان مهما في معيشته، وإلا لما رسمه بهذا العدد مقارنة مثلا بالجاموس الذي نجده لثلاث مرات، منها زوج لجاموسين عتيقين نقشا بشكل كبير وواضح الواحد تلو الآخر له، وكذا ثلاث حيوانات بقرية، ثم الكبش الذي نجده في مناسبتين، والذي مثل في المرتين مع الإنسان، وهذا يدل على الانسان ربما قد استأنس به، مثله مثل الكبش الذي نجد أنه مثله في نقشين، وكذا الحصان الذي استأنس به، وقد مثله في نقش واحد، والأرنب والظبي الذين نقشا لمرة واحدة والذين كانا من الحيوانات التي كان يصطادها بطبيعة الحال.

كما نجد من بين الحيوانات المنقوشة الكلاب، والتي كانت ربما وسيلة استأنس بها واستعملها في الصيد، ونجد بالإضافة إلى الكلاب صورا أخرى للوسائل المستعملة لغرض الصيد كالقوس والسهام وبالإضافة إلى مجموع الحيوانات السابقة نجد من بين النقوش حيوانات لم يتمكن من السيطرة عليها نظرًا لقوتها وشراستها مثل الأسد ووحيد القرن (مرة واحدة) (أنظر الصورة رقم 04).

صورة رقم (05): (من الواجهة الشرقية رقم 02) **وضعية تعبد انسان أمام الكبش.** 2019/05/24

المصدر: الصورة من عمل المؤلف

2.4- المشاهد التعبدية:

صور سكان المغرب القديم عدة أنواع من الحيوانات على الصخور، وذلك لأنها شكلت عنصر تقديس وعبادة[33] كالكبش والثور والقرد والثعابين ..إلخ، لأنهم اعتبروها مزودة بوسائل عضوية لا يستطيعون امتلاك ما يماثلها، كالقوة و المهارة مثلا، أو أنها قد تملك في ذاتها قوة خفية، أو لاعتمادهم على البعض منها في معيشتهم[34]. وكان من بين أهم الحيوانات التي عبدت في المنطقة والتي أقيمت لها طقوس خاصة بها ونقشت على الصخور هي الأبقار، وقد أشار إليها هيرودوت عندما ذكر أن الليبيين قدسوا الأبقار: "..**من مصر إلى بحيرة تريتون يعيش الليبيون الرحل الذين يأكلون اللحم ويشربون اللبن،**

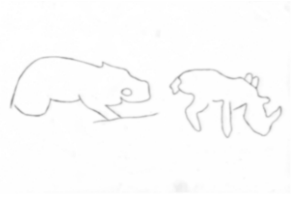

صورة رقم (04): (من الواجهة الشرقية رقم 01): وحيد القرن والأرنب

المصدر: الصورة من عمل المؤلف

وللسبب نفسه الذي دفع المصريين إلى الامتناع عن أكل لحم البقرة والامتناع عن تربية الخنازير، فالليبيون بدورهم يعرضون عن لحم البقرة وعن تربية الخنازير.."[35].

وقد حظيت الكباش بأهمية كبيرة، حيث أدرك الانسان ما لحيوان الكباش من مقدرة فائَقة في التناسل، لذا ربط بينه وبين الخصوبة والبعث، لذلك فهو يأتي على رأس الحيوانات التي قدست في المنطقة، فالدارس للرسوم والنقوش الصخرية المنتشرة في شمال افريقيا بصفة عامة يجد أن هناك تكرارًا غريبًا للكباش التي تحمل على رأسها شكلا كرويا مشدود يربطه على مستوى الرقبة، وتخرج منها العديد من الزوائد كالريش والأغصان الصغيرة، كما ظهر في الكثير من المشاهد في وضعية دينية وبجانبه انسان رافع يده[36]، كما رسمت الكباش القرناء التي تحمل فوق رأسها قرصا مستديرا، حيث يعلو القرص جناحان يجسمان الأفعى[37]، فقد أرجع س.غزيل هذه الرسوم الى ما بين القرن السادس عشر والقرن الثاني عشر قبل الميلاد[38].

ونجد من النقوش التي فيها الكبش بموقع عين الناقة نقش الكبش والشخص (نظر الصورة رقم 01)؛ إذ يظهر الإنسان ذا منظر أمامي وكأنه يمشي إلى الأمام من نوع ذكر أطرافه الأمامية موجهتان نحو الأمام، وذراعه اليمنى تحمل سوارين، واليسرى واحدا، واليدان موجودتان تحملان أصابعا، أما أطرافه السفلية فتنتهي بأقدام تحمل أصابع، ويرتدي ساترا لعورته (القضيب)، أما الرأس فهو منقط به ظفائر، وقد مثل الذكر واقفا ورائه الكبش ربما في مشهد تعبدي، أما الكبش والذي يبدو إما واقفا وراء الذكر أو أنه يمشي ورائه فلم يبق منه إلا الرأس فوقه جزء من قرص الشمس الشبه الدائري، على الرقبة شيء يشبه العقد أو الحبل، في حين باقي الجسم غير موجود بفعل كسر في الصخرة التي عليها النقش.

كما يمكن ملاحظة مشهد تعبدي آخر فالإنسان في حالة جلوس في وضعية متعبد، أي في وضعية عبادة أمام الكبش (أنظر الصورة رقم 05) ، وهو كما يظهر ذا رأس مستدير وذراعاه في وضعية عابد، وأطرافه السفلية موضوعة جنبا الى جنب لا تنتهيان بأقدام، وعلى يسار الشخص حيوان يحمل قرصا على رأسه، ورغم غياب الذيل يمكن القول أنه حمل، كما يظهر شخص آخر ذا رأس مستديرة كذلك، تدل ذراعاه أنه

إما في وضعية متعبد من خلال وضعية ذراعاه، أو أنه صياد من خلال ما كان يحمله بيده اليسرى أين يظهر شيء مثلث يحتمل أن يكون فأسا، والذراع اليمنى تحمل ترس وقوس، هذا في غياب اليدان، أما الأطراف السفلية فمثنية في وضعية جلوس، ومقابله حيوان يعتقد أنه كلب.

وهنا نشير أن تقديس الحيوانات خاصة منها الكباش والأبقار قد ارتبط بعبادة الشمس، ويظهر ذلك من خلال الزوائد التي تعلو قرون الحيوانات كقرص الشمس الذي يدل على ارتباط هذه العبادة بسكان المنطقة[39]. وهذه الزوائد الطقسية الموضوعة فوق رأس الحيوان، وكذلك وضعية المصلى التي تتخذها الشخصيات الذكرية خصوصا الموجودة إلى جانبه، تدل على تقديس الكبش وارتباطه بعبادة الشمس من خلال القرص الموجود بين قرنيه، وربما يكون معد للتضحية[40] من أجل الشمس الإله العلوي في بلاد المغرب في ذلك الوقت، حيث يدل ذلك على اقتران تقديس هذه الحيوانات بعبادة الشمس والقمر[41] التي أشار إليها هيرودوت، إذ أورد هيرودوت أن السكان القدماء قدسوا الشمس والقمر وقدموا لهما التضحيات: "..**إنهم لا يضحون إلا للشمس والقمر ومن يعيش حول بحيرة تريتون يضحون للآلهة أثينا ثم لبوصدون..**"[42].

كما يمكن القول أن كثيرين قد ربطوا بين الكبش المعبود في المنطقة وبين الاله المصري (آمون طيبة) نظرا لأوجد الشبه الكبيرة بين مشاهد الكبشين كقرص الشمس في أعلى الرأس والاحتواء على زوائد كالريش أو الثعابين الصغيرة، لذلك ظهرت العديد من التساؤلات حول إن كان هذا الكبش يمثل معبودا محليا أو أنه كان ذو أصول مصرية.

ج- العشيقين الخجولين:

تعتبر لوحة الحبيبين الخجولين (أنظر الصورة رقم 02) من أروع النقوش التي جاد به انسان العصر الحجري الحديث الذي عاش بالمنطقة، وهي تعبر بحق عن مدى ابداعه وتطور حسه الفني، واللوحة تمثل شخصين جالسين ذكر وانثى بمظهر جانبي، ولعل تقابلهما وطريقة جلوسهما وقربهما كان سببا في اطلاق مصطلح الحبيبين الخجولين، إذ نجد أن الذكر نقش مقابلا للأنثى، على رأسه قبعة منقطة، ويظهر شعره من الأمام، وله ظفائر من الخلف، ويحمل على ظهره أقواسا وسلة يعتقد أنها كنانة، أما

ذراعاه فواحدة غير موجودة والثانية مثنية موجهة تنتهي بيد للأمام، في حين أطرافه السفلية مثنية؛ أي أنه جالس على ركبتيه أما الأنثى فشعرها طويل إلى الخلف، والذراعان فواحدة مثنية إلى الاسفل تنتهي بيد، والثانية مثنية الى الامام تلامس ذراع الذكر، وأطرافها السفلية مثنية في وضعية جلوس، ويحتمل أن تكون وضعية جلوس كل طرف وضعية استعداد للجماع.

خاتمة: لقد عبرت النقوش الصخرية بصدق عن تاريخ الانسان بالمنطقة، إذ من خلالها يمكننا معرفة نمط معيشة السكان وحياتهم اليومية، فكانت بذلك أصدق مصدر أرخ للمنطقة في تلك المرحلة، فمن خلال هذا الفن يمكن استقراء بعض الأفكار والثقافات والطقوس والعبادات التي انتشرت في المنطقة عبر مختلف العصور، كما يمكن القول أن الأساليب الفنية في المنطقة قد تطورت بتطور نمط معيشة السكان، كما يظهر من خلال دراسة الفن الصخري للأطلس الصحراوي بصفة عامة الوقوف على الذوق والحس الفني الراقي للسكان في رسومهم ونقوشهم، ويظهر ذلك جليا من خلال المهارة في إظهار التفاصيل الدقيقة، وفي تنوع تقنيات هذا الفن.

لكن نتأسف لحالة التلف التي آلت اليها النقوش خاصة العامل البشري وهذا ربما لغياب الهيئات المكلفة بحماية التراث المادي في المنطقة، وعلى الرغم من صمود النقوش لآلاف السنين متحدية العوامل الطبيعية المختلفة، الا ان الانسان الحالي هو المتسبب الرئيسي في اتلاف مخلفات انسان العصر الحجري الحديث.

ومن الاحسن العمل على توعين السكان والزوار بالدرجة الاولى على أهمية هذه الاثار وتبيان قيمتها حضاريا واقتصاديا كمعلم سياحي مهم، ضف إلى ذلك حمايتها وصيانتها بصفة دورية مما يحافظ عليها لمدة اطول واذا امكن القيام بعملية الجرد والنقل دون زيادة أو نقصان.

– الهوامش:

(1)- كريم أركان، **التعمير البشري خلال الهولوسان في الأطلس الصحراوي** الشرقي الإطار الطبيعي وتكنولوجية الصناعة الحجرية لموقع مغارة عمورة (الجلفة)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، 2015-2016، أطروحة غير منشورة، ص 20.

(2)- عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة.

(3)- خالد قاسمي، **صيانة وتأهيل المواقع الأثرية المصنفة بولاية الجلفة** دراسة حالة موقع زكار، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في آثار الصيانة والترميم، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، 2012-2013، مذكرة غير منشورة، ص 35.

(4)- مروان رابحي، **التعمير البشري لفجر التاريخ بالأطلس الصحراوي** -منطقة الإدريسية أنموذجا- مقاربة أثرية جغرافية، أطروحة لنيل الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص 101.

(5)- Hartmayer, Notice sur le cercle de djelfa, Revue africaine, 29 (170), 1985, p p 141-150.

(6)- Raboud, Notes Archéologiques sur les ruine de Djelfa, Revue africaine, 01, 1856.

(7)- Arnoud, Exploration du Djebel Bou Kahil, Revue africaine, . 06-07, 1862-1863

(8) Bernard, Observations archéologiques faites dans la province d'alger pendant l'hiver 1884-1885, Revue d'ethnographie, **5**, 1886, p p 241-261.

(9)- خالد قاسمي، المرجع السابق، ص 48.

(10)- S. Gsell**, Atlas archéologique d'algérie**, Ed: A. Jourdan, Paris, 1911, p p 35-46

(11)- بلحرش حسين، **دراسة تحليلية للنقوش الصخرية لمنطقة البيض** (الأطلس الغربي الجزائري) موقع كاف الرخمة والرفع والخلوة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، مذكرة غير منشورة، 2008-2009، ص 10.

(12)- كريم أركان، المرجع السابق، ص 21.

(13)- بلحرش حسين، المرجع السابق، ص 10.

(14)- كريم أركان، المرجع السابق، ص 21.

(15)- Lethielleux , Vestiges préhistoriques et protohistoriques de la région de djelfa, Libyca, 13, 1965, p p 249-269.

(16)- H. Lhote, Les gravures rupestres de l' Atlas Saharien monts des Ouled Nail et région de Djelfa, Office du Parc National du Tassili, Alger, 1984, p 93.

(17)- خالد قاسمي، المرجع السابق، ص 50.

(18)- كريم أركان، المرجع السابق، ص 22.

(19)- H. Lhote, **Les gravures rupestres du sud oranais**, Mém du Crap ,XVI, Alger- Paris, 1970, p 218.

(20)- أنظر:
H. Lhote, Les gravures rupestres de l' Atlas Saharien monts des Ouled Nail et région de Djelfa, Office du Parc National du Tassili, Alger, 1984.

(21)- M. Hachid, **Recherches méthodologiques sur l'art rupestre de l'Atlas Saharien** ,Thèse Doctorat 3ème cycle, Universite Aix en Provence, France, 1981-1982.

(22)- M. Hachid, **Les pierres écrites de L'Atlas Saharien (Hadjrat Mactouba)**,T 1et 2, Enterprise Nationale des Arts Graphiques,1992.

(23)- سمير خلوفي، **الحفظ الوقائي للفن الصخري بمنطقة الصحراء الجزائرية** (الأطلس الصحراوي والتاسيلي أزجر)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011-2012، مذكرة غير منشور، ص 46-47.

(24)- لخضر بن بوزيد، **الطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ –المعتقدات والفن الصخري-**، كتاب الكتروني، ص 98.

(25)- **موقع الحصباية:** يقع جنوب شرق سيدي مخلوف على بعد 2.5 كم، وهو عبارة عن مجموعة من الكتل والمسطحات الصخرية مقابلة لجبل الحصباية. أنظر: H. Lhote, Les gravures rupestres de l' Atlas.., op.cit, p 143.

(26)- H. Lhote, Les gravures rupestres du sud oranais, op. cit, pp 169-176.

(27)- أنظر: H. Lhote, Les gravures rupestres de l' Atlas.., op.cit, p p 93.

(28)- أنظر: H. Lhote, Les gravures rupestres de l' Atlas.., op.cit, p p 93-107.

(29)- Childe (V.G.) **, L'europe préhistorique** , payot , paris,1962, p 37.

(30)- ليونال بالو، **الجزائر في ما قبل التاريخ**، تر: محمد الصغير غانم، عين مليلة، دار الهدى، 2005، ص ص 151-154.

(31)- H.J.Hugot, Op.Cit, p 135.

(32)- Fabrer (H.C.) , **La disparition de l'autruche en Afrique du nord** ,c.r.a.p.e, alger ,1963, p p 83-89.

(33)- Picard (Ch. G.), **les religions de l'Afrique antique**, libraire Plon, Paris, 1954, p 11.

(34)- Dussaud Réné , **Introduction à L'histoire des religions**, Leroux, Paris, 1914, P P 22- 23.

(35)- Hérodote, **Histoire Universelle**, livre IV, trad: E. Le Grand, Les Belles Lettres, Paris, 1936, 186.

(36)- M. Hachid, **le chronologie relative des gravures de l'Atlas Saharien (Algérien) et la région de Djelfa, Libyca,** tome XXX-XXI, 1982, p144-145.

(37)- محمد رشدي جراية، ملامح العصر الحجري القديم في بلاد المغرب : دراسة حضارية أثرية، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2012، ص 129.

(38)- نفسه، ص 132.

(39)- نفسه، ص 189.

(40)- نشير إلى وجود العديد من المشاهد التي يصعب علينا فيها التميز بين كون الحيوان معد للتضحية به أو أن المشهد يعبر عن عبادة الحيوان،.

(41)- لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 156-157.

(42)- Hérodote**,** IV, 188.